

الرَّسَالَةُ ١٩٢

المُلْحِدُ الَّذِي أَصْبَحَ مُبَشِّرًا

(Arabic – The apostate who became evangelist)

أحبائي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: المُلْحِدُ الَّذِي أَصْبَحَ مُبَشِّرًا

يُسْعِدُنِي أَنْ أَقْدِمَ إِلَيْكُمْ أَحْبَائِي مُوجِزًا لِاخْتِبَارِ رَجُلٍ أَعْمَالٍ يُدْعَى Barry Hyde يُقِيمُ فِي الْوَالِيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ Washington State وَقَدْ نَشَرَتْ مَجَلَّةُ Fox الْأَمْرِيكِيَّةِ اخْتِبَارَهُ الشَّبِيقِ، وَفَضَّلْنَا تَرْجَمَةَ الْاِخْتِبَارِ إِلَى اللِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِيَرَى قَرَاؤُنَا الْأَفْضَالَ عَمَلُ نِعْمَةَ اللَّهِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي اسْتَطَاعَتْ بِاسْتِخْدَامِ مَدْرَسَةِ مَدَارِسِ أَحَدٍ أَنْ تَجْعَلَ مِنَ المُلْحِدِ مُبَشِّرًا بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَادَى الْبَشَرِيَّةِ. لَقَدْ كَتَبَ Barry Hyde يَقُولُ:

نَشَأْتُ فِي عَائِلَةٍ مُتَدِينَةٍ. كَانَتْ حَرِيصَةً كُلَّ الْحَرِصِ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الْكَنِيسَةِ كُلَّ يَوْمٍ أَحَدًا. لِذَلِكَ نَشَأْتُ مُتَدِينًا أَعْرِفُ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ. وَلَكِنِّي مَعَ ذَلِكَ كُنْتُ أَعَانِي شُكُوكًا. وَأَصْبَحْتُ أَنْتَقِدُ الْكَنِيسَةَ غَيْرَ مُفْتَتِحٍ بِفَلْسَفَاتِهَا الْعَقَائِدِيَّةِ. ثُمَّ تَدَرَّجَ بِي الْأَمْرُ حَتَّى أَصْبَحْتُ مُلْحِدًا. كُنْتُ أَرِيقُ سُلُوكَ الْمُتَدِينِينَ الْأَخْرِيِّينَ الَّذِينَ كُنْتُ أَعْمَلُ مَعَهُمْ وَأَتَحَاجَّجُ مَعَهُمْ. لَا لِسَبَبٍ إِلَّا لِأَثْبِتَ لِنَفْسِي وَأَقْنِعُهَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَدِينِينَ مُرَاوُونَ وَلَا أَكْثَرُ. كَانَ يَطِيبُ لِي أَنْ أَجَادِلَهُمْ فِي الْعَقِيدَةِ الدِّينِيَّةِ. لِذَلِكَ كُنْتُ أَقْرَأُ الْبَحُوثَ الْمُخْتَلِفَةَ فِي نَظَرِيَّةِ التَّنْطُورِ وَمَا يُشَاكِلُهَا مِنْ نَظَرِيَّاتٍ. وَالْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ أَنْ أَسْلِحَ نَفْسِي لِأَصُولٍ وَأَجُولُ فِي مَعْرَكَتِي مَعَ مَنْ أَدْخَلُ مَعَهُمْ فِي مُحَاوَرَةٍ أَوْ مُجَادَلَةٍ. حَتَّى شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَتَقَابَلَ مَعَ الْمَسِيحِيِّ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي لَا غِشَّ فِيهِ. الَّذِي يَعْرِفُ اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ وَيَحْيَا حَيَاةَ الْإِيمَانِ الْفَعَّالِ.^١

كُنْتُ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ أَنْظُرُ فِي الطَّلَبَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ لِشُغْلِ وَطَيْفَةِ سِكْرْتِيرَةٍ فِي مَكْتَبِي. وَإِذَا بِي أَجِدُ إِحْدَى الْمُتَقَدِّمَاتِ لِشُغْلِ الْوُظُفِيَّةِ تَذَكَّرُ فِي طَلِبِهَا الَّذِي قَدَّمَتْ بِهِ اسْمَ مَدْرَسَةِ الْأَحَدِ الَّتِي تَنْتَسِبُ إِلَيْهَا. وَالْكَنِيسَةُ الَّتِي تَزَالُ بِهَا نَشَاطُهَا كَمَرَجٍ لِلتَّحَقُّقِ مِنْ شَخْصِيَّتِهَا. فَدَهَشْتُ وَظَنَنْتُ أَنَّ فَتَاةَ كَهْدِهِ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ خَيْرَتَهَا لَا تَزِيدُ عَلَى تَقْدِيمِ عِظَاتٍ دِينِيَّةٍ وَلَا أَكْثَرُ. وَأَتَاءَ الْمُقَابَلَةِ اهْتَمَمْتُ الْفَتَاةَ بِأَنْ تَقَدِّمَ نَفْسَهَا كَمَدْرَسَةِ مَدَارِسِ أَحَدٍ بِكَنِيسَتِهَا. وَبِالرَّجُوعِ إِلَى مُوَهَلَاتِهَا وَجَدْنَا أَنَّهَا أَكْفَى الْمُتَقَدِّمَاتِ فَاسْتَحَقَّتْ شُغْلَ الْوُظُفِيَّةِ. وَحِينَ بَدَأْتُ الْعَمَلَ أَخَذْتُ الْأَحْظَا عَنْ قُرْبٍ. عَسَى أَنْ أَجِدَ مَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّهَا مُرَائِيَّةٌ كَمَا كُنْتُ أَظُنُّ فِي أَمْتَالِهَا. وَلَكِنْ وَجَدْتُ أَنَّهَا عَلَى الْعَكْسِ كَانَتْ فِي عَمَلِهَا مِثَالِيَّةً.^٢

وَلَكِنِّي أَدْخَلْتُ فِي مُنَاقَشَةٍ مَعَهَا سَأَلْتُهَا مَرَّةً عَنْ كَنِيسَتِهَا. هَلْ تُوْمَنُ بِنَظَرِيَّةِ الْخَلْقِ أَمْ نَظَرِيَّةِ التَّنْطُورِ؟ فَأَجَابَتْنِي أَنَّهَا تُوْمَنُ بِالْخَلْقِ. وَفِي الْحَالِ فَكَّرْتُ فِي نَفْسِي قَائِلًا: حَسَنًا! سَوْفَ يَكُونُ لِي حِظُّ الْاِسْتِمَاعِ بِشَيْءٍ نَتَلَهَى بِهِ وَمَا قَصَدْتُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا دِينِيًّا. كَانَ جُلُّ قَصْدِي هُوَ التَّرْفِيهُ عَنْ نَفْسِي بِهَوَايَتِي الْمُحِبَّةِ. وَوَأَجَهْتُهَا بِأَسْئَلَتِي فَأَجَابَتْنِي بِالْقَوْلِ: حَسَنًا! إِنِّي أَرَى بَدَلًا مِنَ الْجَدَلِ مَعَكَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ أَحْضِرْ لَكَ كِتَابًا يَبْشُرُ بِوُضُوحٍ وَبِطَرِيقَةٍ أَفْضَلِ وَجِهَةً نَظْرِيَّةً. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ أَحْضَرْتُ لِي كِتَابًا يَتَحَدَّثُ عَنْ نَظَرِيَّةِ الْخَلْقِ وَمُنَافَاتِهَا لِنَظَرِيَّةِ التَّنْطُورِ.^٣

وَبَعْدَمَا قَرَأْتُ ذَلِكَ الْكِتَابَ الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنْ نَظَرِيَّةِ الْخَلْقِ وَمُنَافَاتِهَا لِنَظَرِيَّةِ التَّنْطُورِ. وَجَدْتُ نَفْسِي أَشْعُرُ بِتَغْيِيرٍ كَبِيرٍ لَمْ أَخْتَبِرْهُ اِتِّئَاءَ جَدَلِي وَمُنَاقَشَاتِي الطَّائِفِيَّةِ. كَانَ شَيْئًا فِي دَاخِلِي يَقُولُ لِي: مَنْ أَنَا لِأَنْتَقِدَ غَيْرِي فِيمَا يَبْتَعِدُ؟. وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ أَعُدْ أَشْعُرُ بِمَيْلٍ لِلدُّخُولِ فِي جَدَلٍ طَائِفِيٍّ. حَدَّثْتُ يَوْمًا أَنَّنِي كُنْتُ مُحْتَاجًا لِلتَّشَاوُرِ مَعَ مُخْتَصٍ فِي دَائِرَةِ عَمَلِي وَحَلَّ مَوْعِدَ التَّقَابُلِ مَعَهُ. وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ فِي نَفْسِي الرَّغْبَةَ فِي مُقَابَلَتِهِ. فَأَخْبَرْتُ سِكْرْتِيرَتِي أَنَّ تَتَّصِلَ بِهِ لِتَخْبِرَهُ بِأَنَّي لَسْتُ مُوجُودًا. فَأَجَابَتْنِي: لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ. لَنْ أَكْذِبَ وَأَقُولُ أَنَّكَ لَسْتُ مُوجُودًا.^٤

لَقَدْ صُدِّمْتُ! لِأَنَّي فِي الْحَقِيقَةِ مَا كَانَ فِي اعْتِبَارِي أَنَّنِي طَلَبْتُ مِنْهَا أَنْ تَكْذِبَ. أَحْسَسْتُ بِالذَّنْبِ بَيْنَمَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّنِي الرَّجُلُ الْحَرِيصُ عَلَى التَّحَلِّيِ بِالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ. فَكَيْفَ أَحَاوَلْتُ أَنْ أَدْفَعُ شَخْصًا آخَرَ لِئَكْذِبَ مِنْ أَجْلِي؟.

^١ اسْتَمِعْ إِلَى الْإِنْجِيلِ ، رِسَالَةُ بُولِسِ الرُّسُولِ الثَّانِيَةِ إِلَى تِيموثَاوَسَ ٢ : ٢٣ & ٣ : ٥ ، إِنْجِيلِ مَتَّى ٢٣ : ٢٧ ، إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا ١ : ٤٧

^٢ رِسَالَةُ بُولِسِ الرُّسُولِ إِلَى مُؤْمِنِي أَيْفَسَسَ ٦ : ٦ - ٨

^٣ رِسَالَةُ بُولِسِ الرُّسُولِ الْأُولَى إِلَى تِيموثَاوَسَ ٦ : ٢٠ - ٢٢

^٤ رِسَالَةُ بُولِسِ الرُّسُولِ إِلَى نِيطَسَ ٣ : ٩ ، رِسَالَةُ بُولِسِ الرُّسُولِ إِلَى مُؤْمِنِي أَيْفَسَسَ ٤ : ٢٥

غادرتُ المكتبَ قائلاً لها: على أيِّ حال أنا عازمٌ على الخُرُوجِ. قلتُ ذلكُ وأنا لا أتمالكُ نفسي من الخجلِ. إنَّ ما حدثتُ جعَلنى أعيدُ النظرَ والتفكيرَ. لقد واجهتُ الحقيقةَ أنني فعلاً لم أكنُ موفقاً أخلاقياً كما كنتُ أظنُّ نفسي. منذ سنّواتٍ مضتُ كنتُ بغرورٍ أشكُّ في أنَّه يُوجدُ سماءً. وإنَّ وُجِدتُ فلا بُدَّ أن يكونَ لي فيها نصيبٌ لأخلاقى الطيبة^١.

من المؤكّد أنّ الله خلقَ النَّاسَ درجَاتٍ. وأنا أشعرُ أنني أفضلُ من كثيرين من البشرِ. ولكنني فوجئتُ الآنَ بأنَّ فلسفتي هذه مبنية على أساسٍ وهميٍّ. تقابلتُ مع زوجٍ هذه السكرتيرة فاكشفتُ أنَّهما يُكوّنانِ أسرةً مسيحيةً مؤمنةً قانعةً بالحياةِ وسعيدةً. ولكني لستُ مُستعداً أن أقدمَ على خطوةٍ لأكونَ مثلهمُ. وأخذتُ أفنتعُ بأنَّ العقيدةَ الدينيةَ ليستُ سيئةً بالقدرِ الذي ظننته. قدّمتُ السكرتيرةَ وزوجها الدعوةَ لأذهبَ إلى كنيستهما فلم أجدُ سبباً حقيقياً لأرفضَ الدعوةَ فوقتي بِسَمحٍ بذلكِ. وحينَ أردتُ وضعَ القرارِ أن أذهبَ وُجِدتُ بداخلي شيئاً يدفعني كي أتباطأ في التنفيذ^٢.

لم يحدثُ أن دخلتُ في حياتي كنيسةً من طائفةٍ أخرى غيرَ الطائفةِ التي أتبعها. وليسَ لدي فكرةَ عمّا أتوقّعه هناك. أحسستُ لحظةً أن ساقفتي قدماي للدخولِ إلى المبنى بهدوءٍ نفسيٍّ. وعمرني شعورٌ بالارتياح. كنتُ ما زلتُ مرتاباً حينَ رحبَ بي كلُّ واحدٍ من أعضاءها بمشاعرٍ رائعة. ظننتُ أن الأسلوبَ الذي استقبلوني به هوَ مظهرٌ أعده حينَ علموا بحضوري. على أيِّ حال أخذتُ أراقبهمُ كعادتي. فاكشفتُ أنَّهم كانوا لكلِّ من يستقبلونَ ودودينَ محبينَ وليسَ معي بنوعٍ خاصٍ. كانتُ كنيستهمُ أشبهَ بأسرةً ضخمةً يعمرها سلامٌ عجيبٌ. ونوعٌ من السعادةِ لم يخطرُ على بالي. وأثناءَ العبادةِ شعرتُ بارتياحٍ ونشوةٍ. ووُجِدتُ نفسي مندفعاً معهم في التسبيحِ والتمجيدِ لله. وحينَ وقفَ بعضهمُ يُقدمُ شهادةَ لعملِ الربِّ في حياته. أمعنتُ التأملَ والتفكيرَ في كلِّ ما شهدوا به^٣.

لم يسبقُ لي في الماضي أن رأيتُ أو سمعتُ أناساً يقفونَ في اجتماعٍ ما يُخبرونَ بما صنعَ الربُّ معهم. فهذه كانتُ المرّةَ الأولى لأواجه شيئاً من هذا القبيلِ. لذلكُ ظننتُ أنَّه ربّما يكونُ شيئاً مصنوعاً من أجلى. والعجيبُ أن موضوعَ العظةِ التي أقيتُ من على المنبرِ كانتُ تتوافقُ مع احتياجي. كان الموضوعُ عن نظرية التطور. أصغيتُ بالكامل فوجدتُ شيئاً لذلي أن أسمعهُ. حرصتُ على حضورِ الاجتماعِ التالي وأحسستُ بحاجتي أن أفتحَ قلبي لِمَا أسمعُ. في الحقيقةِ لم يسبقُ لي أن أحسستُ بذلكِ الشعورِ الذي ملأَ كياني. وتشوّقتُ لمعرفةٍ أكثرَ عن موضوعِ يسْمونهُ الخلاصَ بالإيمانِ. فوجهتُ إلى راعي الكنيسةِ بعضَ الأسئلةِ فأجابني عليها وشجعتني على أن أقرأ فصولاً معينةً من الكتابِ المقدّسِ. وأصلي إلى الله ليُعطيني استنارةً. لم تمضِ أيّامٌ حتى رفعتُ قلبي إلى الربِّ يسوعَ سائلاً الغفرانَ. مُسلماً حياتي لشخصه المبارك. فتمنعتُ بالخلاصِ وتغيّرتُ حياتي^٤.

ما أعظمَ الفارقَ!. أصبحَ تواجدِي في محضِرِ الربِّ هوَ لذتي ومِتعتي. إنَّ أموراً كثيرةً تغيّرتُ في حياتي. كنتُ أحلفُ ولكن هذا الأمرُ توقفَ تماماً. كنتُ أسبُّ لأتفه الأسبابِ ولدهشتي لاحظتُ أنني توقفتُ عن ذلكِ دونَ مجهودٍ مِنِّي. نلتُ اختباراً جديداً ما كنتُ أعلمُ به. وكمؤمنٍ حديثٍ واجهتني صعوباتٌ. دخلتُ طريقاً جديداً لحياةٍ جديدةً. ولكن شُكراً لله فهو يقدوني خطوةً بخطوة. يُعلمني ويُرشدني بروحه القدوس لأعملَ ما يُرضيه ولأحيا حَسبَ مسرّةِ قلبه. وما زالَ إلى الآن يُعلمني ويُرشدني. لم يتخلَّ عني قط ولم يتركني لحظةً. إنَّ طبيعةَ العملِ الذي أمارسهُ يجعَلني أقبالُ وأتعالَمُ مع كثيرين من ذوى النفوذِ وكيارِ رجالِ الأعمالِ. وأعلمُ أنَّ هؤلاء يُراقبونني وينظرونَ كيفَ أحيا. صلّاتي إلى الله أن يجعلَ مِنِّي المثلَ الذي من أجله أوجدني ليتمجّدَ في حياتي قولاً وفعلاً^٥.

عزيزي القارئ.. إنَّ ذلكَ الاختبارَ لمسَ قلبي ولعله لمسَ قلبك أيضاً. فليتك أحي تشتركُ معي في تلكَ الصلاة: أبانا السماوي.. أشكركَ لأنك لا تتركُ نفسك بلا شاهد. وبرُوحك القدوس ترشدُ كلَّ من حادَ عن الطريقِ الصحيحِ ليرجعَ إلى أحضانِ محبتك. أشكركَ من أجل أنك أرسلتَ الابنَ الوحيدَ. الذي هوَ الطريقُ والحقُّ والحياةُ. ليعرفني بنفسه أنَّه الطريقُ لأتبعه. ويهديني إلى الحقِّ لأتمسكُ به. وينقلني من الموتِ الأبديِّ إلى الحياةِ الأبديّةِ. أرفعُ صلّاتي في اسمِ يسوعَ فادينا. مُتكللاً على وَعديك الصادقِ. يا مَنْ قلتُ: مَنْ يُقبلُ إلي لا أخرجهُ خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إنَّ أردتَ سَماعَ تلكَ الرّسالةِ أو غيرها ستجدُ ذلكَ في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣: ٢٠

^٢ الرسالة إلى العبرانيين ١٠: ٢٥

^٣ إنجيل يوحنا ١٣: ٣٤ - ٣٥ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٥: ١٩ ، ورسالته إلى مؤمنى كولوسي ٣: ١٦

^٤ سفر أعمال الرسل ٤: ١٢ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١٠: ٩

^٥ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٥: ١٧